مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد التاسع والعشرون / ربيع ثاني - جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ أبريل - جون ٢٠٠٩م

٢٩

- الصُفَّة تاريخها-أصحابها.
- الحياة السياسية والاقتصادية بالمدينة المنورة من خلال رحلة بيركهارت ١٢٣٠هـ
- المدينة المنورة في عيون الرحالة الغربيين
- الإعجاز العلمي في دعاء الرسول تصحيح المدينة

عرض كتاب المغانم المطابة في معالم طابة

لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي

(٧٢٩- ٨١٧هـ)

أ. هلال محمد شعبان
باحث في دار السنة النبوية سابقاً

المغانم المطابة واحد من أشهر الكتب في تاريخ المدينة المنورة، اعتمد عليه معظم من جاء بعده من المؤرخين والدارسين، وقد أراد له مؤلفه الشهير الفيروزابادي صاحب القاموس المحيط أن يكون كتاباً جامعاً لما تفرق في كتب السابقين، وسطاً بين الإيجاز والإسهاب فقال: (تجدّد نظري فيما وضع على ذكر معالم المدينة من تعليق وكتابة، فلم أر كتاباً حاوياً يجمع من تاريخ البلد الكريم صُيَابَه، فذهبت إلى وضع كتاب جامع لما ذهب في كتب المتقدمين بدداً متجنباً إطناب القول وإسهابه).

وقد بذل مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة جهداً كبيراً في دراسة الكتاب وتحقيقه، فخرج موسوعة في أربعة مجلدات تشتمل على (١٣٥٣) ألف وثلاثمائة وثلاث وخمسين صفحة من القطع العادي.

ويضم الكتاب مقدمة وستة أبواب.

بيّن الفيروزابادي في المقدمة منهجه في الكتاب فقال: (وإن ما أثبت من كل فصل لبابه، وأذكر البلد الكريم وفضله وتطيابه، وأتبعه المسجد المقدس ومنبره ومحرابه، وعمده وأبوابه، وحصباءه وعدابه، وغرسه وعراءه).

كما أشار في آخر المقدمة إلى أنه ذكر تراجم أعلام المدينة، من مشايخه ومشايخهم، وأضاف إليهم بعض الأعلام الذين لم يسكنوا المدينة أو يمروا بها، مبيناً سبب ترجمته لهم فقال: (وقد ذكرت في هذا الباب جماعة ممن لهم بالمدينة آثار صالحة وإن لم يساكنوا أهلها، ولهم بها مبرات

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

جارية وإن لم يطؤوا حزنها وسهلها، كذكري للملك المطاع والسلطان الرواع، وخاقان خواقين البسيطة بلسان الإجماع، جلال الدين والدنيا أبي الفوارس شاه شجاع، وكذكري للجواد الرباني، جمال الدين الأصبهاني، والسلطان السعيد، تقي الدين الشهيد، وأضرابهم ممن شغف بإسداء الإحسان إلى قاطني تربتها، وأولع بإسبال أذيال الامتنان إلى واطني رحبتها، فشمل كتابي بذلك الخصوص والعموم، وأصبح بحمد الله تعالى كالبدر في التمام والبحر في الطموم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل).

وفي الباب الأول من الكتاب تناول المؤلف فضل زيارة النبي ﷺ في المدينة وآدابها، مبيناً تأكيد استحبابها، والحض على الصبر على لأوائها.

وبدأ بإيراد الأدلة من القرآن الكريم على تعظيم قدر النبي ﷺ، ووجوب التأدب في حضرته وعند زيارته. كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

وأعقب ذلك بذكر الأحاديث والآثار الواردة في فضله ﷺ على المخلوقات بمن فيهم الأنبياء والملائكة، كحديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «أنه أُتِيَ بالبُرَاقِ ليلةَ الإسراءِ، فاسْتصْعَبَ عليه، فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام: أبِمُحَمَّدٍ تفْعلُ هذا! فما رَكِبَكَ أحدٌ أكرمُ على الله تعالى منه، فَارْفَضَّ عَرَقاً».

وقول ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «إنَّ الله تعالى فضَّلَ محمداً على أهل السَّماءِ وعلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. قالوا: فما فضله على أهل السَّماءِ؟، قال: إن الله تعالى قال لأهل السَّماءِ: ﴿ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

دُونِهِۦ ﴾الآية، وقال لمحمد ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ الآية. قالوا: فما فضلُهُ على الأنبياء؟، قال: إن الله تعالى قال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ الآية. وقال لمحمد ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ الآية.

ثم نقل إجماع الأمة من الصحابة فمن بعدهم على تعظيم النبي ﷺ.

وعقد ضمن هذا الباب فصلين:

بيّن في الأول فضل المجاورة بالمدينة، وأورد فيه الأحاديث التي تدل على ذلك، منها: قولُه صلّى الله عليه وسلّم: «من استطاع أَنْ يموت بالمدينة، فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها».

وبيّن في الثاني آداب الزائر والمقيم، وما يجب عليهما من التحلي به في هذا البلد الكريم، كالمواظبة على الطاعات، والمداومة على نوافل الخيرات، والابتعاد عن المعاصي والمحرمات، والتأدب في جوار المصطفى ﷺ حياء من الله تعالى ورسوله ﷺ.

وقال في خاتمة الباب: (ومن آداب من صار بالمدينة حاضراً، زائراً كان أو مجاوراً، أن يديم التردد لزيارة البقيع ومن حوته تربته من سادات الصحابة من السابقين الأولين الأخيار، ومن بعدهم من المهاجرين والأنصار، عليهم رحمة الله الملك الجبار).

وأما الباب الثاني فقد تناول فيه الفيروزابادي رحمه الله تاريخ المدينة المنورة، وسكانها من التبابعة والعماليق ومن بعدهم إلى قبائل الأوس والخزرج، وأسهب الحديث عنهم محدداً أماكن سكنهم، والحروب التي خاضوها ضد بعضهم، إلى أن دخل الإسلام إليهم فوحد بينهم، وختم الباب بذكر هجرة رسول الله ﷺ إليهم واستقبالهم له بفرح وسرور عظيمين.

وقد أشار المؤلف إلى المصادر التي اعتمد عليها في هذا الباب فقال: (وهذا الفصلُ مُلَخَّصٌ من كتاب الزبير بن بكار، وابن النجار، ومعجم ياقوت الكبير، وغير ذلك، مهذب القواعد، مشذب الرواية، مرشحاً

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بفوائد رشيقة، موشحاً بفرائد أنيقة إن شاء الله تعالى).

وأما الباب الثالث: فقد خصّه المؤلف لأسماء المدينة المنورة فأورد لها أكثر من ستين اسماً مرتبة على حروف المعجم مع شرح معانيها، وضبط ألفاظها، وذكر سبب تسميتها بذلك، مستدلاً بالشواهد من الأشعار والآثار.

وأما الباب الرابع فقد سرد المؤلف فيه الأحاديث الواردة في فضل المدينة المنورة على وجه العموم، واستغنى عن ذكر أسانيدها بعزوها إلى مصادر الحديث المستخرجة منها، وابتدأ بذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها). رواه البخاري ومسلم.

ثم عقد فصلاً في فضل المسجد النبوي، والروضة المطهرة أورد فيه الأحاديث والآثار الواردة فيهما: كحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قال: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى).

وحدد أماكن الأسطوانات المشهورة كأسطوانة عائشة، وأسطوانة التوبة، وأسطوانة التهجد مبيناً سبب شهرتها وفضلها.

وعقد فصلاً آخر في بناء المسجد النبوي مبيناً مراحل التطور العمراني، والتوسعات التي جرت عليه منذ العهد الأول وإلى عصر المؤلف، فقد كان موضع المسجد مربداً لغلامين يتيمين اشتراه منهما رسول الله ﷺ، وكان فيه بقايا نخل قديم وبعض قبور المشركين، فأمر النبي ﷺ ببناء المسجد، فنبشت القبور، وقطعت بقايا النخيل، ومهدت الأرض، وخطّ الصحابة بتوجيهاته ﷺ حدود المسجد، ثم بدؤوا بحفر الأساس بعمق ذراع ونصف رصفوها بالحجارة، ثم ارتفعوا بالجدران الترابية قريباً من القامة، ولم يبذل الصحابة أي تكلف في بنائه، وإنما استخدموا ما كان متوفراً في البيئة التي يعيشون فيها، فقد (روى ابن شِهَاب قال: كَانَت سَوارِي

الْمَسجِدِ في عَهدِ رَسُولِ اللّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُذوعاً من جُذوعِ النَّخلِ، وَكَانَ سَقفهُ جَرِيداً وخُوصُاً ليسَ على السَّقفِ كَثيرُ طِيْنٍ، إذا كانَ الْمَطرُ امْتَلأَ المسجِدُ طِيناً، إنما هُوَ كَهَيئَةِ العَرِيشِ).

وبعد أن انتهى المؤلف من ذكر التوسعات التي جرت على المسجد النبوي بدأ بالحديث عن أشهر معالمه (المنبر والمحراب)، فأورد الروايات التي جاءت في ذكر المنبر وسبب صنعه، ووصف طوله وعرضه وما جرى له من تغيرات، فقال: (وكان طول منبر رَسُولِ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة أذرع ونصف ذراع مرتفعاً في السماء مع الخشب الذي عمل مروان، وكان طول منبر رَسُولِ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة ذراعين في السماء وعرضه ذراعاً في ذراع، وعدد درج منبر رَسُولِ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ما عمل مروان تسع درجات ، وعدد درج منبر النبي صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة ثلاث درجات بالمقعدة، هكذا كان في حياة رَسُولِ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخلفاء الأربعة رَضيَ اللّه عَنهُم).

ثم بين أن محراب النبي ﷺ الذي كان يصلي فيه بالناس إلى أن قبضه الله تعالى على يمين الخطيب، بينه وبين المنبر أربعة عشر ذراعاً وشبر، ونقل الإجماع على أنه لم يغير بتقديم ولا تأخير، وإنما غيرت هيئته في العصر الأخير.

ثم عقد فصلاً في ذكر مقبرة البقيع وهي المقبرة الرئيسة في المدينة، دفن فيها ما يقارب عشرات الآلاف من الصحابة فمن بعدهم، وأتى بالأحاديث الواردة في فضلها، وكيفية زيارتها، وآداب دخولها. (فعن أمِّ المؤمنين عَائِشَةَ رَضيَ اللّه عَنهَا قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَتِي الَّتِي رَسُولُ اللّه ﷺ فِيهَا عِنْدِي، انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْه، فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ، فَاضْطَجَعَ. فَلَمْ يَلْبَثْ إلا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءهُ رُوَيْداً، وَانْتَعَلَ رُوَيْداً، وَفَتَحَ الْبَابَ فَخَرَجَ. ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْداً. فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي، وَاخْتَمَرْتُ، وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي. ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ. حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ فَقَامَ. فَأَطَالَ

الْقِيَامَ. ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ. فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ. فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ. فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ. فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ. فَلَيْسَ إلا أَنِ اضْطَجَعْتُ فدخل فَقَالَ:«مَا لَكِ يَا عَائِشُ حَشْيَا رَابِيَةً؟!» قَالَتْ: قُلْتُ: لا شَيْءَ. قَالَ ﷺ:« لَتُخْبِرِينِي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» قَالَتْ: قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! فَأَخْبَرْتُهُ. قَالَ ﷺ:« فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامِي؟» قُلْتُ: نَعَمْ. فَلَهَدَنِي فِي صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعَتْنِي. ثُمَّ قَالَ ﷺ:«أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ؟» قَالَتْ: مَهْمَا يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ. قَالَ ﷺ نَعَمْ قال: «فَإِنَّ جِبْرِيلَ عليه الصلاة والسلام أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ. فَنَادَانِي. فَأَخْفَاهُ مِنْكِ. فَأَجَبْتُهُ فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكِ. وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ. وَظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتِ. فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ. وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي. فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ ﷺ:« قُولِي: السَّلامُ عَلَيْكُم أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاحِقُونَ). رواه مسلم والنسائي.

ثم تحدث المؤلف عن المساجد التي صلى فيها النبي ﷺ بالمدينة وقراها، والمساجد التي بين مكة والمدينة، وبيّن مواقعها ، وذكر أوصافها، وأورد الأحاديث والآثار فيها، وبدأ في ترتيبها بالمعروف المشهور منها فقال: (مسجد قباء وهو أشهرها بعد المسجد المقدس ، وقد ذكرنا في باب فصل القاف من الباب الخامس في ترجمة قباء ومسجدها ما فيه كفاية إن شاء الله تعالى، ولم يزل مسجد قباء على ما بناه رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن بناه عمر بن عبد العزيز على ما هو عليه اليوم عند بنائه مسجد المدينة ومساجد في المواضع التي صلى فيها النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وانتقل المؤلف في الباب الخامس بعد ذكر المسجد النبوي وسائر المساجد في المدينة المنورة إلى الكلام عن باقي معالم المدينة من مساكن ومشاهد وجبال وتلال وآطام وآكام وأودية وعيون وغير ذلك، وحدد

مواقعها ، وبين مساحاتها ومسافاتها ، وذكر الآثار والأشعار الواردة فيها ، ورتبها ترتيباً هجائياً فقال: (باب الألف

آرام: كأنه جمع إرم، وهو: حجارة تنصب كالعلم: اسم جبل قرب المدينة وفيه يقول القائل:

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا ❖❖❖ أروم فآرام فشابة فالحضر
وهل تركت أبلى سواد جبالها ❖❖❖ وهل زال بعدي عن قتينته الحجر

حتى انتهى إلى: باب الياء

يتيب: بالفتح ثم الكسر ثم مثناة فوق ثم ياء تحتية وباء موحدة: جبل بالمدينة له ذكر في حدود الحرم.

قال ابن عقبة: خرج أبو سفيان في ثلاثين فارساً أو أكثر حتى نزل بجبل من جبال المدينة يقال له: يتيب، فبعث رجلاً أو رجلين من أصحابه، فأمرهما أن يحرقا أدنى نخل يأتيانه، من نخل المدينة، فوجدا صوراً من صِيران نخلِ العُرَيضِ فأحرقاه).

وأما الباب السادس والأخير: فقد ترجم فيه لبعض أعلام المدينة ممن أدركهم هو وأشياخه، ورتبهم أيضاً على حروف الهجاء، وعقد في آخر هذا الباب مسائل تتعلق ببعض الأحكام الفقهية كحكم الحُجَر الشريفة هل حكمها حكم المسجد النبوي من حيث مضاعفة الصلاة فيها؟، وحكم قناديل المدينة المصوغة من الذهب والفضة، وحكم بيع قناديل الذهب التي بالحجرة الشريفة، وناقش الأقوال الواردة، واختلاف العلماء فيها، ثم بيّن ما ترجح عنده في ذلك.

ثم ختم الكتاب ببعض القصائد التي نظمها في مدح النبي ﷺ ، ووجوب توقيره والاقتداء به. وكان مما قال:

نَفْسُ النَّبِيِّ لَدَيَّ أغْلَى الأنفسِ ❖❖❖ فاتْبَعْهُ في كُلِّ النَوَائِبِ واتَّسِي
واتْرُكْ حُظُوظَ النَّفْسِ عَنْكَ وقُلْ لها ❖❖❖ لا تَرْغَبِي عَنْ نَفْسِ هذا الأنْفَسِ

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفيها:

فمحمدٌ بِحَياته تُهْدَى الأنامُ ❖❖❖ وتَنْمَحِي سُدَفُ الظَّلامِ الحِنْدِسِ
ويقومُ دينُ الله أبيضَ طاهراً ❖❖❖ في غيظِ إبليسَ اللعينِ الأنْجَسِ
أعظم بنفسِ محمدٍ أنْ يُقْتَدَى ❖❖❖ أهون بنفسك يا أُخَيَّ وأَخْنِسِ

وفي الختام فإن كتاب المغانم المطابة للفيروز أبادي أحد أهمّ المراجع التاريخية والجغرافية للمدينة المنورة، يتميز بحسن التبويب والترتيب، وكل من ألّف بعده في تاريخ المدينة سار على منهجه في التبويب، فإن خالفه في شيء فإنما يكون بتقديم أو تأخير.

كما يتميز بغزارة المعلومات التي تضمنها، وتنوعها وشمولها.

جمعه المؤلف من عدد كبير من المصادر، بعضها مفقود، مثل: أخبار المدينة لابن زبالة، وأخبار المدينة للزبير بن بكار، وأخبار المدينة ليحيى بن الحسن بن جعفر العلوي، وبعضها متداول موجود، كأخبار المدينة لابن شبة، وإتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر لابن عساكر، ومعجم البلدان للحموي، ونصيحة المشاور لابن فرحون وغيرها كثير.

ولم يقتصر المؤلف في كتابه على النقل من المصادر المتقدمة، إنما استمد كثيراً من معلوماته من مشاهداته وسماعاته أثناء رحلاته المتكررة إلى المدينة المنورة، فجاءت المعلومات إضافة إلى ذكرها من كتب التاريخ موثقة بالمشاهدة والسماع بسؤال أهل العلم في المدينة ومكاتبهم لزيادة التوثيق.

فرحم الله الفيروزابادي رحمة واسعة على هذا العطاء المتميّز، وأسكنه فسيح جنانه، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة